مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

تجليات الموروث الإبداعي في الفكر والإبداع المعاصر
"الدكتور عبد الرحمن الباشا نموذجاً"

الدكتور حسان الحسن*

(تاريخ الإيداع 23 / 8 / 2016. قبل للنشر في 17 / 11 / 2016)

□ ملخّص □

التراث الأَدبي العربي معينٌ ثرّ يوحي بكثير من المعطيات الفكرية والإبداعية التي تغني إبداع عصر من العصور، والدكتور عبد الرحمن الباشا واحد من المفكرين العرب الذين نظروا بالتراث العربي ونهلوا منه فأضاف الرؤى الفكرية والنقدية والأدبية التي أسهمت في إغناء المكتبة العربية بأهمية التراث وما يتمتع به من أصالة تجذَّر الأدب العربي بجذوره الثابتة.

ولم تكن الدراسات المتنوعة مقصورة على توضيح الأهمية التراثية، وإنما كانت تزيل الران عما علق في الأذهان من معوقات واتهامات ألصقت بالفكر العربي وأدبه للنيل من مكانة الأمة العربية والإسلامية، فجاء هذا البحث ليكشف عن مقدرة الأدباء والمفكرين العرب – "والدكتور عبد الرحمن" واحد منهم – في الذود عن إبداع الأمة وتفكيرها سواء أكان في الشعر أم في الفكر بما يخدم التطور الفكري والثقافي للأمة العربية عبر التاريخ.

الكلمات المفتاحية: أدب عباسي، التراث في نظر أبنائه.

* أستاذ مساعد– قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (5)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (5) 2016

Manifestation Of The Creative Legacy In The Contemporary Thought And Creativity Dr. Abdul-Rahman Al-Basha Providing Amodel

Dr. Hassan Ali AL-Hasan*

(Received 23 / 8 / 2016. Accepted 17 / 11 / 2016)

□ ABSTRACT □

The Arab Literary Heritage Is An Inexhaustible Source Inspiring A Great Deal Of Intellectual And Creative Facts Which Enrich The Ear Innovation. Thus, Dr. Abdul-Rahman Al-Basha Is One Of The Arab Intellectual Who Took A Look At The Arab Heritage And Assimilated It, Adding Intellectual, Critical And Literary Visions That Contributed To The Enrichment Of The Arab Library With The Importance Of This Heritage And What Originality It Has, Which Makes The Arabic Literature Grow Firm Roots. The Various Studies Weren,T Also Restricted To Clarifying The Heritage Importance, But They Came To Remove What Got Stuck In The Mind, Clearing Them Of Obstacles And Accusations With The Arab Thought Was Charged To Show The Ability Of Arab Writers And Intellectuals, And Dr. Abdul-Rahman Al-Basha Is On Of Them-Defending The Nation,S Creativity And Thinking Whether In Poetry Or In Thought In A Way That Serves The Intellectual And Cultural Development Of The Arab Nation Throughout History.

Key Words: The Abbasi Literature- The Heritage In The Eyes Of Its Sons.

* **Assistant Professor- Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria**

مقدمة:

لا شك في أنَّ الموروث الأَدبي والفكري للأمة العربية والإسلامية يُشكل نقطة ارتكاز مهمة للبحوث الإنسانية عامة، وللإبداعات الخلاقة عند المفكرين خاصةً، ومن هنا جاءت اهتمامات الدكتور عبد الرحمن الباشا في الغوص وراء التراث ليبين أهميته من جهة، وليكشف النقاب عن جماليات الإبداع الفكري عند العرب والمسلمين كي يكون معيناً ثرياً للأجيال الإنسانية المتعاقبة من جهة أخرى، في حين إن الغوص وراء هذا التراث وما يحمل من نصب ومن تعددية المجالات الواسعة لا يتأتى لأي باحث إلا إذا كان متمكناً من أدواته البحثية واسع الثقافة والاطلاع كي يستطيع أن يحلل وينقب، فتأتي الشجرة البحثية أكلها بثمر يانع نضر، وما أحيلى البحوث التي تجلت في إبداع الباشا المستوحاة من التراث العربي والإسلامي أَخصُّ منها: "حدث في رمضان" و"الطريق إلى الأندلس" و"نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد" و"الصيد عند العرب" و"علي بن الجهم حياته وشعره"، وسوف أقف عند هذه التجليات الإبداعية لعلني أرى التراث برؤية الباشا بل قل لأرى الإبداع في المبدع. متبعاً المنهج الوصفي في عرض تجليات التراث العربي بما أبدعه د. الباشا، وكأنه يصوِّر حالات إبداعية وتاريخية سبقت مراحل كثيرة من مراحل تطور الأمة العربية بعد الاسلام والمرحلتين الأموية والعباسية هادفين بذلك إلى وضع ذلك التراث أمام أعيننا والاستفادة منه باختصاصات متعددة ، فضلاً عن معرفة كيف كان القدامى يفكرون ويعيشون ويبدعون، لتطور تفكيرنا وعيشنا وإبداعنا بين الأمم

أ -"**حدث في رمضان**": كتاب كتبه الدكتور الباشا يؤرخ فيه الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي والوجود الإنساني من ذلك مهبط الوحي على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم انه حدث في رمضان، فكانت لحظة تاريخية في ولادة عالم جديد على كوكب الأرض، وما أروع الكلمات التي وصف بها الدكتور الباشا ذلك الحدث حيث يقول: "وقد ظل الوحي زاداً للرسول صلى الله عليه وسلم يتزود به في مشقة الطريق وظلاً يفيء إليه كلما لفحه هجير الجحود وعوناً من السماء يواجه به المكر والكيد والأذى وهادياً يهديه سواء السبيل"[1]، ثم يشير الدكتور الباشا إلى أعظم مؤتمر للشورى عرفه تاريخ الإسلام إنه حدث في رمضان المبارك عندما عقده الرسول الكريم (ص) لمواجهة قافلة قريش وحدوث معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً مؤزراً، وقد عرض الدكتور الباشا صورة سير الرسول الكريم بأروع صورة للتعالي والمساواة بينه وبين أصحابه حيث يقول: "خرج النبي (ص) بثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً من أصحابه فيهم مئتان وواحد وثلاثون رجلاً من الأنصار وستة وثمانون رجلاً من المهاجرين وكان معهم سبعون بعيراً وفرسان لكل ثلاثةٍ أو أربعةٍ بعيرٌ يتعاقبون عليه وكان الرسول صلوات الله عليه يتعاقب على بعير واحد مع مرثد بن أبي مرثد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فرغب شريكا الرسول الكريم (ص) بالتنازل له عن حصتهما في ركوب البعير، وقالا له: نحن نمشي عنك يا رسول الله، فقال صلوات الله عليه وسلم ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر، وأبى إلا أن يكون نصيبه في ركوب البعير كنصيب أي منهما." [2] وهناك الأحداث التاريخية المهمة التي حدثت في شهر رمضان الشريف منها أيضاً مصرع أبي جهل وهدم الأصنام، ما كنا نعرف ذلك على وجه الدقة لولا رصد الدكتور الباشا لتلك الأحداث وتخصيصها في كتاب مستقل ليكون دليلاً مرشداً إليها بأقرب السبل وأرقى العبارات، مما يجعل القارئ متفاعلاً مع ما يقرأ، وكأنه يعيش الحدث بنفسية القائمين عليه، بل يكاد ينقلك إلى الحياة

1- الباشا (د. عبد الرحمن): حدث في رمضان، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1999 ص/20 و21/.

2- الباشا (د. عبد الرحمن): حدث في رمضان، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1999 ص/26 و27/.

3 - (م)- حسين طه: من حديث الشعر والنثر. ص /29/

التي كان يعيشها الرسول (ص) وأصحابه رضي الله عنهم بكل تفاصيلها وإحداثها، ومرها وحلوها، فيجعلك أكثر إيماناً بالدين الإسلامي ومبشره الرسول الأكرم صلوات الله عليه وسلامه.

ب –"**نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**": كتاب ألفه الدكتور الباشا يبحث فيه عن رؤية الدين الإسلامي في بعض النظريات الأدبية والنقدية من منظور إسلامي، من ذلك مثلاً موقف الإسلام من الشعر ورؤيته المذهبية والنقدية في ذلك، فأظهر الجانب الإيجابي الذي أيّدهُ الإسلام من القرآن الكريم والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكيف استثنى القرآن الشعراء الذين يدافعون عن الدين وعن الحق من غيرهم الذين يتبعهم الغاوون وقد أظهر الدكتور الباشا رؤية الرسول الأعظم (ص) في الشعر وما تحمل من رؤى فكرية ونقدية متطورة تنم عن محامد الأخلاق وعظمتها إذ لا يريد من الشر أن يكون هدفه الذم والقدح والتعرض لأعراض الناس وللقيم الأخلاقية والإنسانية العامة، ونحن ندرك ما تنطوي عليه هذه النظرية من تحقيق للمُثل العليا في المجتمع، وما تنطوي عليه من حُسن التربية الذوقية للإبداع الشعري للأجيال المستقبلية، إضافة إلى معرفة حقيقية بدور الكلمة في معرفة الحياة البشرية سواء أكانت فكرية أم مادية وغير ذلك من الأدوار الأخرى، التي كانت عن طريق أدباء عرفوا بتأثرهم وتأثيرهم بالأدب الأخرى وفي الأدب والفكر عند العرب كابن المقفع الذي يرى د. طه حسين أن ثقافته متأثرة بالفكر اليوناني وليس الفكر الفارسي حيث يقول: ((الثقافة اليونانية كانت قديمة العهد في هذه البلاد حتى كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للشرق الأدنى وأنبتت مدارس يونانية فتركت هذه المدارس في عقول المصريين والشاميين والجزريين آثاراً لا يمكن أن تمحي إلا مع الزمن))[3]

ونحن إذ نقرأ هذا المنظور ندرك مدى أهمية تلك النظرية التي أصبحت في العصر الحديث من أهم البحوث التي يبحث فيها المفكرون العرب بشكل عام، ولذلك يقول الدكتور الباشا: "ولا ريب في أن الإسلام قد أراد في جملة ما أراده – أن ينتشل هذا الفن الرفيع مما غرق فيه وأن ينهض به إلى المستوى الذي يليق به"[4] ولم يكن الشعر بمعزل من الفنون الأخرى أو أنواع الكلام فيقول: "لأن الشعر باب من أبواب الكلام وضرب من ضروبه، فصالحه كصالح غيره من الكلام... وما يقال عن الشعر يقال عن فنون الأدب الأخرى كالخطابة والقصة والأقصوصة وغيرها." [5] ثم استعرض الدكتور الباشا أهم المذاهب الأدبية عند الغرب وموقف الإسلام منها كالرمزية والوجودية والرومانسية والإبداعية وغير ذلك مبيّناً ما تعتمده تلك النظريات والمذاهب وموقف الإسلام منها وهذا يدل على اطلاع واسع ودقيق لتلك المذاهب، ثم استقصاء الأحكام الفكرية للدين الإسلامي وعرضها عليه ليرى مدى قابليتها للدين الحنيف، من ذلك عرضه للواقعية الغربية مفنداً آراءها حيث يقول: "ثم إن الواقعيين رغم اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه لا إله، وإن الحياة مادة" ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة وأنهم يدينون بالنظرية الفلسفية التي تقول: "إن الحياة قد بنيت على الشر والمسلم يرفض هذه الأفكار رفضاً قاطعاً لأنه يدين بالله خالق السموات والأرض وإن الأديان كلها تكافح الشر." [6]، ولم يكن عمل الدكتور الباشا مقتصراً على عرض أراء تلك النظريات فحسب، بل راح يقفو إثرها ويتفحص الفكر الديني الإسلامي ليرى مدى الملاءمة بينها وبين الدين ثم يعلل الرفض والقبول وفي هذا العمل جهد مضاعف على المستوى الفكري وعلى المستوى الشخصي وما يحمله من أعباء للاطلاع والكشف عما يريدهُ الغربيون من نظريات وأفكار، كل ذلك لغزو الاعتقاد الإسلامي من جهة وسلب الفكر العربي من جهة ثانية ، فكان فكر الباشا متيقظاً ونيراً في تنبيه

---

[4] – الباشا (د.عبد الرحمن): نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، الرياض 985 ص/ 20/.

[5] – الباشا (د.عبد الرحمن): نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، الرياض 985 ص/ 20/.

[6] – الباشا (د.عبد الرحمن): نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ص/ 48و 49/.

الشباب لدور الفكر الغربي وما يريده من أمتنا العربية والإسلامية. لأن أبا حيان الوحيدي نبه لهذه المسألة في دور الصداقة بين المجتمع وأهميتها بقوله : ((وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق ولا من يتشبه بالصديق... صحبتُ الناس أربعين عاماً فما رأيتهم غفروا لي ذنباً ولا ستروا لي عيباً....))[7]

ج – "**الطريق إلى الأندلس**": كتاب من الكتب الممتعة والمؤنسة لأنك عندما تقرأه لا تستطيع أن تدعه من يدك حتى تنتهي منه وذلك لمعرفة الحقيقة التي جعلت العرب والمسلمين أن يصلوا إلى أصقاع الغرب ومن ثم إلى الأندلس بأسلوب رشيق وشيق فيحركك أسلوبه من البداية، وكلما قرأت سطراً تعتقد أنك اقتربت من نهاية الفكرة ولكنه يجذبك إلى سطرٍ آخر وهكذا، ولم تكن تلك الحقيقة التاريخية هي دأب الباشا وإنما أراد أن يعرض ذلك الصدق في مواقف القادة المسلمين وإيثارهم لبعضهم وما يتمتعون به من حُسن الطاعة وحسن الحجة أمام الخصم وهاتان الخصلتان نابعتان من قوة الإيمان، من ذلك مثلاً، كيف عرض عمرو بن العاص على الفاروق فكرة فتح مصر وإقناعه بذلك، وبعد موافقته ومسير ابن العاص دخل على الفاروق عثمان بن عفان (رض) فقال له: "يا أمير المؤمنين إن عمراً لمقدام جريء وإن فيه حباً للإمارة فندم الفاروق على إذنه لعمرو بفتح مصر وبعث خلفه رسولاً يحمل إليه كتاباً منه بهذا الشأن، ولما علم عمرو بقدوم الرسول توجس خيفة واظهر تشاغلاً عن استقباله حتى وصل قرية من قرى مصر، فأمر بإحضار رسول الخليفة فاستقبله وسلمه كتاب الخليفة فإذا فيه: "إن أدركك كتابي هذا قبل أن تدخل أرض مصر فارجع إلى موضعك وإن كنت دخلت أرضها فامض لوجهك" ثم قرأ عمرو الكتاب على المسلمين، فقال: ألستم تعلمون أننا في أرض مصر؟ فقالوا بلى، فقال فلنمض على بركة الله وتوفيقه." [8] فتلاحظ مدى اهتمام المسلمين بالفتح ونشر الدين وأهمية الطاعة لأوامر القادة ويحكمون الخطة ويتم لهم النصر، ثم يعرض الدكتور الباشا قصة "بيت الحكمة" الذي هو بناء مقدس عند "القوط" بناه قدماء ملوكهم وطوقه الشعب عبر التاريخ بكثير من الأسرار ونسج حوله عديداً من الأساطير والأخبار ووشحه بغلالة من الغموض وأحاطه بهالة من الهيبة والتوقير [9] إلى أن جاء "ذريق" للحكم فأمر بفتح بيت الحكمة وقد كان قُفِل بسبعة عشر قفلاً بعدد الملوك الذين توالوا على الحكم فكان فتح بيت الحكمة إنذاراً بزوال مُلك القوط بدخول العرب المسلمين لبلادهم، ومن ثم تم فتح طريق الأندلس بيد العرب، ولم تكن معرفة تلك الطريق لولا الأسلوب الذي عرضه الدكتور الباشا فتتخيل خيالاً واسعاً وتأتيك صور الأخيلة الأدبية التي تصل إلى حد الأسطورة وهنا تكمن فنية الأدب وروعة الإبداع في تمثل الفكرة والحقيقة التاريخية كأنها حدث يسير أمام عينيك بكل أبعاده الفنية والتاريخية فتشم رائحة التاريخ وهي تعبق بالأصالة والعز الذي لا يمحى من أعماق الإنسان عبر العصور.

د –"**الصيد عند العرب**": أيضاً كتاب "الصيد عند العرب" من الكتب التي تنقل القارئ إلى متعة الرحلة التي تعرِّفه بالفتوة العربية والشجاعة من جهة وتعلم الأجيال على عادة الشظف في الحياة وخشونة العيش، من جهة أخرى، ومن الجدير ذكرهُ أن الكتب التي حفلت بموضوع الصيد عند العرب ما تزال مخطوطة راقدة في أقبية الكتب ومستودعاتها تنتظر اليد الحازمة العالمة لتوقظه من سباته وتبعثه حياً لينتفع به الناس – كما يقول الدكتور الباشا[10]

---

[7] – التوحيدي (أبو حيان): الصداقة والصديق، القسطنطينية 1301 هـ ص /10/.

[8] الباشا (د. عبد الرحمن): الطريق إلى الأندلس، دار الأدب الإسلامي القاهرة ط 1، 2000م، ص /9و10/

[9] الباشا (د. عبد الرحمن): الطريق إلى الأندلس، دار الأدب الإسلامي القاهرة ط 1، 2000م، ص /63/

[10] الباشا (د. عبد الرحمن): الصيد عند العرب، دار النفائس ط 3، 1983، ص /7/

– ومن هنا تكمن صعوبة البحث في هذا الموضوع، ولم ير الملوك والقادة الموضوع، وقد عرف العرب هذا الفن منذ القديم، ولم ير الملوك والقادة والخلفاء أي حرج في الذهاب إلى الصيد بل وجدوا كل الفائدة والمتعة حتى ما رواه لو كلفهم ذلك حياتهم، وقد نقل إلينا الدكتور الباشا أخباراً كثيرة منها

كما جاء من أن المهدي كان في رحلة صيد ومعه علي بن سليمان أبو دلامة فأثير أمامهم ظبي فرماه المهدي فأنفذه، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله، فقال أبو دلامة[11]:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فؤادهْ

وعلي بن سليما ن رمى كلباً فصادهْ

فهنيئاً لهما كل امرئٍ يأكل زادهْ

وهناك من الروايات التي تشير إلى أن المهدي توفي في رحلة صيد؛ ذكر ذلك الطبري وابن الأثير [12]، وهناك من الشخصيات الكبيرة التي أحبت الصيد وولعت به، وهذا ليس بجديد إذ إن الإنسان أحب الصيد منذ وجد على ظهر الأرض، وانه استعان على الحيوان الأعجم بعقله الكبير وذكائه الحاد، وقد ذكر الدكتور الباشا كثيراً من الطرق والوسائل المتبعة في صيد الحيوان، عن طريق الشباك الظاهرة والشباك المستورة، ومن الحيوان ما يرمى بالسهام والبندق، ومنها ما يؤخذ بالحفائر، ومنها ما يختل بالغناء والصفير، وذكر الباشا الصيد بالقوس والصيد بالرمح وبالجلاهق أو قوس البندق[131]، والصيد بالأوهاق وهو حبل مغار من أذناب الخيل يرمى في أنشوطة فيعلق بعنق الطريدة وتؤخذ به، والصيد بالشبكة وبالفخ وبقصب الدبق والصيد باللباد وهو شعر أو صوف تداخلت أجزاؤه ولزق بعضها ببعض فتلبدت والصيد بالتطريب، ذلك أن بعض الحيوانات كالآيل مثلاً يرتاح إلى الفناء العذب ويستهويه الصفير الحسن وهو لا ينام مادام يسمع ذلك فإذا رام الصيادون صيده شغله بعضهم بالغناء والصفير وأتاه بعضهم الآخر من خلفه فإذا رأوه مسترخي الأذنين أدركوا أنه مشغول بما يسمع مأخوذ به فيثنون عليه، أما إذا كان لا يزال منصب الأذنين فذلك يعني أنه لم يزل يقظان فيكفون عنه [14] والصيد بالنار وبالحفائر وبالحيلة، ثم تحدث الدكتور الباشا عن الجوارح وسياستها والصيد بها، فدل على علم آخر من علوم الصيد وفنونه التي عرفها العرب قبل غيرهم من الأمم الأخرى وتحدث عن الضواري وسياستها والصيد بها أيضاً مستفيداً مما ذكره الجاحظ في كتابه الحيوان ومن كتب أخرى ككتاب المصايد والمطارد، ومن طريف ما ذكر الباشا في الصيد " آداب معاملة البازي" حيث يقول: "رسم علماء البيزرة لسياسة البازي حدوداً تعارفوا عليها وسنوا لحسن القيام عليه آدابا والتزموا بها وذلك لما يتمتع به هذا الجارح من مزاج لطيف ولما له من منزلة في نفوس هواة الصيد ومكانته عند المولعين به، فاشترطوا في حامل البازي أن يكون لطيف الثوب، طيب الرائحة، كريم الشمائل عالماً بشؤون البازي وأحواله، وحذروا من أن يحمله الأبخر لأن الرائحة الكريهة تكسر شهوته للصيد، وإذا حمله الأبخر اشمأز منه، ويجب أن يحمل على اليد اليسرى، والبازي مثله مثل أصحاب الأمزجة اللطيفة فحذروا حامله أن يأكل الثوم أو البصل، والبازي طائر يحفظ الجميل [15] ومن فوائد "كتاب الصيد عند العرب" أنه ذكر

---

[11] الباشا (د. عبد الرحمن): الصيد عند العرب، دار النفائس ط 3، 1983، ص /45/

[12] الباشا (د. عبد الرحمن): الصيد عند العرب، ص /45/

[13] الجلاهق: البندق الذي يرمى به وهو طين مدملق مدور ومفرده جلاهق ومثناه جلهقتان، وهو فارس معرب أصله (جله) وهي كبة الغزل /انظر تاج العروس/

[14] الباشا (د. عبد الرحمن) الصيد عند العرب/ 90/

[15] – الباشا (د. عبد الرحمن): الصيد عند العرب/ 111و112/

حلال الصيد وحرامه وما ورد في ذلك عن الرسول (ص) والقرآن الكريم، فقد روي أن زيد الخير وعدي بن حاتم سألا النبي صلوات الله عليه فقالا: "إنا نصيد بالكلاب والبزاة وقد حرم الله تعالى الميتة فماذا يحل لنا فيها؟" فنزل قوله تعالى" يسألونك ماذا أُحِلّ لهم؟ قل أحل لكم الطيبات وما علَّمتم من الجوارح مكبلتين تعلموهن مما علمكم الله، فكلوا مما أمسكْنَ عليكم واذكروا اسم الله واتقوا الله إن الله سريع الحساب.[16] وهذا ما يذكرنا بكتاب ((الحيوان)) للجاحظ الذي كان يتحرى الدقة في مسألة معرفة الحيوان والبحث عنه بشكل دقيق ولا يتحرج في أن يُظهر بطلان أحكام علمية كانت عن طريق أرسطو فيقول:((وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حيّة لها رأسان فسالت أعرابياً عن ذلك، فزعم أن ذلك حق، فقلت له: فمن أي جهة الرأسين تسعى، ومن أيهما تأكل وتعض؟ فقال: فأما السعي فلا تسعى ولكنها تسعى إلى حاجتها بالتقلب كما يتقلب الصبيان على الرمل، وأما الأكل فإنها تتعشى بفم وتتغدى بفم، وأما العض فإنها تعض برأسها معاً، فإذا به أكذبُ البرية[17].)).

هـ- " **علي بن الجهم حياته وشعره**": كتاب ألفه الدكتور عبد الرحمن الباشا رسالةً جامعية وأكاديمية، وفيه يبدو المؤلف كاتباً وباحثاً وناقداً يناقش الأدب والفن والتاريخ بكل أبعاده الفكرية حتى تتجلى شخصية الكاتب على أنها شخصية إبداعية تكشف المجهول وتزين المصقول، فلا يخفى على الدارسين أن علي بن الجهم شاعر كبير عاش في العصر العباسي الذي يعج بالشعراء المبدعين ولكنه انطوى على كثير من المعميات والملابسات التي تجعل الدارس في حيرة من أمره تجاه هذا الشاعر أو ذاك فما بالك بغير الدارسين؟!

فجاء كتاب الدكتور الباشا عن علي بن الجهم ليوضح المعميات ويزيل الملابسات بدقة علمية متناهية وبرؤية أدبية عالية، ومن أجمل ما ذكره الباشا عن الشاعر علي بن الجهم قوله شعراً أثناء وضعه المتوكل في السجن حيث يقول:[18]

قالت: حُبست فقلت ليس بضائري حبسي، وأي مهند لا يُغمدُ

والحبس ما لم تغشه لدنيّة شنعاء نعم المنزل المتوردُ

ويقول الدكتور الباشا "حفظت فيما حفظته من شعر آنذاك بيتين في السجن لأني أجد فيهما أصدقَ التعبير عما في نفسي ونفوس أولئك الذين يساقون إلى السجون زمرا أيام الاحتلال الفرنسي لسورية، ثم عرضت في البلاد مناسبة من المناسبات الوطنية الكبرى، فأنشدت فيها بيتي ابن الجهم السابقين فاستقبلتهما الجماهير أروع استقبال، وشاعا بعد ذلك بين الناس وأصبحا أحد الشعارات التي رفعها المجاهدون في وجه فرنسا وسجونها الرهيبة، ثم دفعني البيتان وما أشاعا حولهما من جوّ عبق بطيوب الرجولة والبطولة إلى البحث عن قائلهما والاستزادة من شعره.[19] وهنا نرى تجليات الموروث الشعري والإبداع الفكري في الفكر والإبداع المعاصر مما جعل الباشا يتفاعل مع المشاعر التي عبر عنها ابن الجهم منذ القرن الثالث الهجري بل جعل الباشا مشاعر الجماهير تتفاعل مع ذلك الإبداع الفني والجمالي للتراث على أنه جزء لا يتجزأ من حاضر الأمة ومستقبلها الذي يكوّن شخصيتها ويحافظ على جذورها المتأصلة في قديم الزمان

---

[16]- القرآن الكريم: المائدة /4/

[17] الجاحظ: الحيوان القاهرة 1908م 52/4

[18]- الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم، دار المعارف بمصر/ 80/

[19]- الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم /5/

ولعل من أهم تجليات الإبداع في الموروث الأدبي تمحيص الدكتور الباشا في أمر يصعب على الباحث بحثه وهو مسألة السياسة والدين في القديم وخاصة عند الشعراء فيقول الباشا: "وقد يكون من الصعب أن يفصل الدارس بين السياسة والدين عنده (أي عند ابن الجهم): لأنهما اختلطا وامتزجا لدى المتوكل نفسه، فهو قد عمل على تلافي الفرقة التي أحدثها المعتزلة في صفوف الأمة بما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق.. غير أن المتوكل بإدراكه رأب الصدع لمّا تولى الخلافة إذ أعلن رجوع الدولة عن هذه المحنة وتمسكه بمذهب السنة وقد أشاد ابن الجهم بهذه السياسة البصيرة وبما درأ المتوكل عن الأمة من فتنة عمياء، وكان يلوح من حين إلى آخر بأن الخليفة يرفض أراء المعتزلة ويعتنق أراء أهل السنة ومن ذلك قوله[20]

وقال والألسن مقبوضة	ليبلغ الغائبَ من يحضرُ [21]
إني توكلت على الله لا	أشرك بالله ولا أكفرُ
لا أدعى القدرة من دونه	بالله حولي، وبه أقدرُ

"وابن الجهم يشير في البيت الثالث بوضوح على أن المتوكل لا يقول برأي المعتزلة الذاهب إلى حرية الإرادة وإلى أن الإنسان مختار في أقواله وأفعاله يأتي ما يشاء منها عن قدرته وإرادته." [22] ولو لم يكن ابن الجهم مشيراً إلى رأي المتوكل في مسألة شغلت الناس في ذلك العصر لكان من الصعب الوقوف على رأي ابن الجهم أيضاً في تلك المسألة الدينية المهمة.

أما عن الأغراض الشعرية عند ابن الجهم فقد تعددت بتعدد المستجدات الثقافية والحضارية والسياسية في العصر العباسي، وأول ما فتح به علي بن الجهم فمه من الشعر هو الهجاء وأول مهجو عنده أبوه، وذلك عندما طلب من معلم الكتاب أن يحبسه فحبسه فأرسل أبياتاً إلى أمه يقول فيها[23]:

يا أمتا أفديك من أم	أشكو إليكِ فظاظة الجهمِ
قد سُرّح الصبيان كلهم	وبقيت محصوراً بلا جرمِ

والوصف من الأغراض الشعرية التي أجاد بها ابن الجهم، والوصف روح الفنون الشعرية والشاعر الوصاف يجب أن تتوافر له الملاحظات الدقيقة والانفعال الهادي المستمر بالصور التي يقع عليها حسُّه أو عقله، واللغة المواتية التي تمكنه من التعبير عن الموصوف، فقد صور مظاهر الحضارة الحديثة، بتوازن اللفظ والمعنى وسابقاً يقول التوحيدي: ((لا تعشق اللفظ دون المعنى ولا تهو المعنى دون اللفظ[24])) وهنا تثار كثير من الأسئلة وخاصة فيما يعترينا عقب قراءتنا لمقطوعة جيدة من الأدب يمكن أن يُعبر عنه بالمسلمة الآتية:/ كما يقول (هكسلي): ((هذا هو ماكنت

---

[20]– الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم /103و104/

[21]– الضمير في "قال" عائد على المتوكل.

[22]– الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم /104/.

[23]– الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم /139 – 140/.

[24] التوحيدي (أبو حيان): الإقناع والمؤانسة القاهرة 1944م /10/1/

أشعر به وأفكر فيه دائماً ولكنني لم أكن قادراً أن أصوغ هذا الإحساس في كلمات حتى لنفسي [25])) "فاستمع إليه وهو يصف ساحات قصر المتوكل ويقيم بين قباب القصر والنجوم صلات هي أحلى ما يمكن أن يكون بين الإنسان والإنسان[26]:

صحون تسافر فيها العيون وتحسر عن بعد أقطارها
وقبة ملك كأن النجو م تفضي إليها بأسرارها

وكان الغزل من الأغراض الشعرية التي أخذت حيزاً غير قليل في شعره، فهو فتى موفور الشباب، مشدود الإهاب، حلو المجتلى، وكانت بغداد تعج بالجواري من كل طويلة غيداء وبضة بيضاء وكان المجتمع الإسلامي قد تحلل بعض الشيء من قيود دينية، وأباح لنفسه من المتع ما كان محظوراً، فانتشرت مجالس الأنس والطرب في بغداد وحفلت قصور الخلفاء ودور الأغنياء بالجواري، وكان للمتوكل أربعة آلاف سرية ولابن الجهم جوارٍ يحجبهن عن بعض أصحابه أحياناً، ومن شعره الغزلي ما يترسم خطى سلفه ابن أبي ربيعة حيث يقول[27]:

وما أنسى لا أنسى ظلومَ وقولها لجارتها: ما أولع الحبَّ بالحر
فقالت لها الأخرى: فما لصديقنا معنى وهل في قتله لك من عُذرِ
عديه لعلَّ الوصل يحييه واعلمي بأنّ أسير الحب في أوثق الأسر[28]

وقد كان بعض الشعراء مزدوجي الولاء فكان ذلك؛ ((في سبيل عطاءٍ يناله أو حرمان أصابه أو صلة بين زعيم[29]))

كذا تبين دراسة الدكتور عبد الرحمن الباشا فنية ابن الجهم وشاعريته وتكشف عن سر إبداع شاعر في العصر العباسي، مما يجدُّ بنا البحث أن نمعن كثيراً بتراثنا وبتجلياته الإبداعية التي رَقَت بالفكر العربي والإنساني على مدى الزمن المتلاحق، ولم يكن الدكتور عبد الرحمن الباشا واقفاً على شعر شاعر أو فكر مفكر في تراثنا، وإنما امتدت رؤاه إلى أعماق التاريخ العربي والإسلامي ليظهر متبرجاً بأسرار الإبداع عبر التاريخ.

وفي الختام يظهر لنا أن تراثنا العربي ثرٌ لا ينضب سواءٌ أكان في الفكر أم في الأدب أم في مجالات الحياة الأخرى، فيأخذ منه القارئ ما يفيده وما يريده لتكوين ثقافة متعددة الأطراف ويستمتع بلغته العربية التي تغني فكره وروحه في الحياة، ولذلك كانت تجّليات الموروث الإبداعي حاجة ملحة لربط الماضي بالحاضر

وإذا كان الدكتور، (الباشا) قد نهل منه أو انعكست تجليات ذلك المورث في أدبه وفي فكره، فإننا بحاجة إلى كثير من الباحثين ليغوصوا في أعماق ذلك التراث ليعكس جوانب الإبداع عند العرب وتطورهم الحضاري بين الامم، ولعل هذا البحث يشكل حافزاً من الحوافز المهمة في البحث عند الدراسين

[25]العشماوي (د. محمد زكي): قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث دار النهضة بيروت 1984م ص /17/
[26] الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم / 157/.
[27]الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم / 149/.
[28]الباشا (د. عبد الرحمن): علي بن الجهم / 152 /.
[29] الشايب (أحمد) : تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني دار القيم بيروت 1976 ص /14/

مصادر ومراجع

أ -المصادر:

1 -القرآن الكريم.

2 -التوحيدي(أبو حيان: الإقناع المؤانسة القاهرة1944م

3 -التوحيدي(أبو حيان):الصداقة والصديق والقسطنطينية (130هـ)

4 -الجاحظ (عمرو بن بحر) الحيوان، القاهرة 1908م

ب -المراجع:

1 -الباشا (د. عبد الرحمن الباشا): حدث في رمضان، دار الأدب الإسلامي القاهرة ط2، 1999.

2 -الباشا (د. عبد الرحمن الباشا): الصيد عند العرب، دار النقاش، بيروت ط3، 1983.

3 -الباشا (د. عبد الرحمن الباشا): علي بن الجهم حياته من شعره، دار المعارف بمصر.

4 -الباشا (د. عبد الرحمن الباشا): نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، الرياض، 1985.

5 -حسين (د. طه):من حديث الشعر والنثر دار النهضة 1984

6 -الشايب(أحمد): تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، بيروت 1976م

7 -العشماوي(د.محمد): قضايا النقد والأدب بين القديم والحديث، دار النهضة بيروت1984م